الفصل الثانى

الجناس التام

- جناس تام مماثل بين اسمين مفردين.
- جناس تام مماثل بين مثنى ومثنى.
- جناس تام مماثل بين اسمين جمع وجمع.
- جناس تام مماثل بين مفرد وجمع.
- جناس تام مماثل بين فعلين.
- جناس تام مزدوج ومكرر ومردد.
- جناس تام مماثل مزدوج متصل.
- جناس تام مماثل مزدوج مفصول بحرف.
- جناس تام مستوفى.
- جناس تام مركب.
- مرتبة الجناس التام.

الجناس التام

وهو ما يتفق فيه اللفظان المتجانسان فى أنواع الحروف، وأعدادها وهيئاتها، وترتيبها، فإن كان اللفظان من نوع واحد كاسمين، أو فعلين سمى متماثلاً، كما فى قول الله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ** ﴾ [الروم: ٥٥].

وإن كانا من نوعين كاسم، وفعل سمى مستوفى على صيغة اسم المفعول، كما فى قول أبى تمام:

مَـامَـاتَ من كَـرَمِ الزَّمَانِ فإنه يَحْيَا لدَى يَحْيَى بن عَبْد الله

والاسمان كما يقول (سعد الدين التفتازانى) إما متفقان فى الإفراد، أو الجمعية... أو مختلفان[١].

وقد ظفرت بعديد من أمثلة هذا اللون فى (أساس البلاغة) بين أسماء مفردة، وأسماء مجموعة، وأسماء مختلفة، وظفرت علاوة على ما ذكره (السعد) بجناس بين مثنى، ومثنى، وسأتناول – إن شاء الله تعالى – هذه الأضرب مستهلا بالجناس التام **المماثل**، فالتام **المستوفى** ، فالتام **المركب** ومن الله العون، وعليه التكلان.

أولاً – جناس مماثل بين اسمين مفردين:

من هذا القبيل ما جاء فى قول الزمخشرى: « إذا صَرَّ الأَفْكَلُ، أصابه الأفكل، الأول الشقراق، وهو متشاءم به، والثانى الرعدة »[٢] فالأفكل الأول – كما ذكر – طائر يتشاءم به ويسمى الأخيل[٣] ومعنى (صَرَّ) صوّت، وصاح أشد الصياح[٤] وهذا القول ينبىء عن إنسان جبان رعديد، إذا سمع صياح هذا الطائر، تشاءم، وتتطير، وأصابته الرعدة من شدة الخوف، والفزع.

---

(١) المطول / ٤٤٥.
(٢) أساس البلاغة (فكل).
(٣) لسان العرب ٤ / ٢٢٩٩ (فكل).
(٤) المصدر نفسه ٤ / ٢٤٢٩ (صرر).

ومن ذلك ما ذكره من الجناس بين (أقلح) مَنْ بأسنانه قذر، و(أقلح) وهو (الجُعَل) فى قوله: «وقلحت أسنانه.. وقلحتها، ويقال للجُعَل أقلح؛ لقذر فمه، تقول فلان أقلح كأنه أقلح»[1] جانس بين (أقلح) الأولى، والمراد بها مَنْ بأسنانه قذر، و(أقلح) الثانية، معناها ((الجعل)[2].

وقد زاد صاحب لسان العرب معنى (القلح) وضوحا فقال «القَلَحُ والقلاحُ صفرة تعلو الأسنان فى الناس، وغيرهم»[3].

يعضد ذلك ما جاء فى قول النبى ﷺ - لأصحابه «مالى أراكم تدخلون علىّ قُلْحاً»[4].

ومن هذا الضرب ما ذكره من التجانس بين (أَمْت) الأرض و(أمت) السقاء، فى قوله: «استوت الأرض فما فيها أمت، وامتلأ السقاء فلم يبق فيه أمت»[5].

(أمت) الأولى اختلاف الأرض فى الارتفاع والانخفاض[6] و(أمت) الثانية استرخاء السقاء، جاء فى لسان العرب «الأمْتُ تخلخل القربة إذا لم تحكم أفراطها، قال الأزهرى سمعت العرب تقول قد ملأ القربة مَلأً لا أمْت فيه أى ليس فيه استرخاء من شدة امتلائها»[7] وهذه كلمة قرآنية وردت فى قول الله تعالى: ﴿لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

وقال الزمخشرى فى تفسيرها: «الأمت النُتُوّ اليسير يقال مدّحبله حتى ما فيه أمت»[8].

---

(١) أساس البلاغة (قلح).
(٢) الجُعَلُ حيوان كالخنفساء المعجم الوجيز (جعل).
(٣) لسان العرب ٥/٣٧١٦ (قلح).
(٤) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/٩٩.
(٥) أساس البلاغة (أمت).
(٦) لسان العرب ١/١٢٤ (أمت).
(٧) المصدر نفسه والموضع.
(٨) الكشاف ٢/٤٤٧.

ومنه ما ذكره بين (البائس) المقبّل، و(البائس) الفقير، فى قوله: « باسَ له الأرض بَوْسا، وتقول أيها البائس ما أنت إلا البائس »[١].

وقد بيّن صاحب لسان العرب أن البوس بمعنى التقبيل فارسى معرب، يقال باسه يبوسه[٢].

وكلمة (البائس) الأخرى بمعنى الفقير، جاء فى لسان العرب: « والبؤس الشدة والفقر، وبَئس الرجل يبأس بؤسا، وبأسا، إذا افتقر، واشتدت حاجته فهو بائس أى فقير[٣] ومن هذا النوع ما أورده من التجانس بين (بَيْهَس) اسم رجل، و(بيهس) الأسد فى قوله: « هو فى حمق بَيْهس »، وفى جرأة بَيْهَس الأول نعامة، والثانى أسامة »[٤] وفى قول الزمخشرى: « الأول نعامة) ما يلوح بأنه جبان كالنعامة، وقد وجدت فى القاموسِ المحيط أن البيهس الأسد والشجاع، وبَيْهس رجل يضرب به المثل...[٥].

ومن ذلك النهج المجانسة بين (خَشْيَان) من الخشية وهى الخوف، و(خشيان) جافٌ يابس، كما جاء فى قوله: « بالخشية ينال الأمن، وخشى الله وخشى منه.... ورجل خاش، وخشن، وخشيان، تقول فلان خشيان، كأنه من خشيته خشيان »[٦] (خشيان) الأولى – كما أوما الزمخشرى – من الخشية، و(خشيان) الثانية كما جاء فى لسان العرب، والقاموس المحيط اليابس من النبات[٧].

ومعنى العبارة كما يبدو – فلان عنده خوف شديد حتى صار من خوفه وخشيته ضامراً هزيلاً كالنبات الجاف اليابس.

ومن هذا النمط ما ذكره من الجناس بين (خشناء) من الخشونة،

---

(١) أساس البلاغة (بوس)
(٢) لسان العرب ١ / ٣٨٦ (بوس).
(٣) المصدر نفسه ١ / ٢٠٠ (بأس).
(٤) أساس البلاغة (بهس).
(٥) القاموس المحيط باب السين فصل الباء.
(٦) أساس البلاغة (خشى).
(٧) لسان العرب ٢ / ١١٦٩ (خشى) والقاموس المحيط (خشى).

و(خشناء) كثيرة السلاح فى قوله: « خَشُنَ الشيءُ واخْشَوْشن، وهو خشن وخشين... وفى أخلاقه خشونة، ورجلٌ أخشن شَكِسٌ... ولفلان سياسة خشناء، وكتيبة خشناء كثيرة السلاح »[1] جانس بين (خشناء) صفة للسياسة، و(خشناء) صفة للكتيبة.

ومن ذلك القبيل ما ذكره بين (الرَّبَذَة) خرقة من الصوف... و(الرَّبذة) مكان فى قوله: « وجلا الصائغ الحلى بالربذة وهى الصوفة والخرقة، وسمعت من يقول لما أسمعهم الحق نبذوه بالربذة، كما ينبذ الهانىء الربذة »[2] جونس بين (الربذة) الأولى، وهى قرية قرب المدينة المنورة[3] جاء فى لسان العرب « الربذة بالتحريك صوفة يهنأ بها البعير، وخرقة يجلو بها الصائغ الحلى، ومدفن أبى ذر الغفارى قرب المدينة[4].

ومن ذلك الفن ما جاء فى كلامه بين (المسطبة) مكان، و(المسطبة) وهى المجرة فى قوله: « رأيتهم قاعدين على المساطب، وهى الدكاكين حول رحبة المسجد... وتقول إما أن يبيتك على المسطبة، أو يرفعك إلى المسطبة، وهى المجرة »[5] جونس بين (المسطبة) مكان يجلس عليه، و(المسطبة) موضع فى السماء يريد أن يقول إما أن يرفعه إلى الثريى، أو يلصقه بالثرى.

ومما هو بسبيل من ذلك ما وجدته فى لسان العرب أن الدكان يطلق على الحانوت أيضاً، فقد جاء فيه أن « الدكان فعال، والفعل التدكين، الجوهرى الدكان واحد الدكاكين، وهى الحوانيت فارسى معرب، وفى حديث أبى هريرة فبنينا له دكانا من طين يجلس عليه، الدكان الدكة المبنية للجلوس عليها »[6] و(المجرة) كما فى لسان العرب « .. شرج السماء يقال هى بابها، وهى كهيئة القبة، وفى حديث ابن عباس المجرة هى باب السماء، وهى البياض المعترض فى السماء »[7].

---

(١) أساس البلاغة (خشن).
(٢) المصدر نفسه (خشن).
(٣) لسان العرب ٣ / ١٥٥٧ (ربذ).
(٤) المصدر نفسه والموضع.
(٥) أساس البلاغة (سطب).
(٦) لسان العرب ٢ / ١٤٠٦ (دكن).
(٧) المصدر نفسه ١ / ٥٤١ (جرر).

ومن ذلك ما لمع إليه من التجنيس بين (راحة) ضد التعب، و(راحة) وهى برد النسيم فى قوله: «ووجدت رَوْحَ الشمال، وهو برد نسيمها، ويوم راح وليلة راحة، وتقول هذه ليلة راحة للمكروب فيها راحة»(١).

ومنه ما أشار إليه من المجانسة بين (الزاوية) ركن البيت، و(الزاوية) موضع فى قوله: «وتقول لا تزال فى الزاوية كأنك من أهل الزاوية، وهو موضع بالبصرة»(٢).

الزاوية الأولى معناها - كما أسلفت - ركن البيت، والجمع زوايا، والزاوية الثانية موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث(٣).

ومن ذلك المنهاج ما لمع إليه من الجناس بين (طوق) أى طاقة وقدرة، و(طوق) ما يوضع فى العنق فى قوله: «وما لى به طوق وطاقة، وعجز عنه طوقى، وله طوق من ذهب وأطواق، وتقول فى عنقى من نعمته طوق، مالى بأداء شكره طوق، وتطوقت الحية صارت كالطوق»(٤).

ونلحظ أن (طوق) الأولى فى عبارة الجناس مستعارة لإحاطة النعم بجيد المنعم عليه.

ومن الجناس بين مفردين أيضاً ما ذكره بين (شمالى) خلقى، و(شمالى) يده فى قوله: «وشملهم الخير شمولا... وهو كريم الشمائل، وما ذلك من شمالى أى خلقى... وتقول ليس من شمالى أن أعمل بشمالى»(٥).

أى ليس من خلقى أن أعمل بيدى اليسرى.

ومنه ما أورده بين (العاسل) مشتار العسل، و(العاسل) الذى يهز رمحه فى قوله: «ورمح وذئب عسّال، ورماح وذئاب عواسل، وتقول يمتار الفيء العاسل، كما يشتار الأرى العاسل...»(٦).

---

(١) أساس البلاغة (روح).
(٢) أساس البلاغة (زوى).
(٣) القاموس المحيط باب الواو والياء فصل الزاى.
(٤) أساس البلاغة (طوق).
(٥) المصدر نفسه (شمل).
(٦) نفسه (عسل).

ويبدو أن المراد بقوله (يمتار الفيءَ العاسلُ) أن المجاهد برمحه، وسلاحه يجمع الغنيمة، ويجلب الخير، كما يجمع مشتار العسل العسلَ من خليته، يقال امتار الطعام جلبه، والميرة الطعام[1].

ومعنى قول الزمخشرى فى صدر عبارة الجناس التى سلف ذكرها «ورمح عسّال» أى شديد الاهتزاز، قال صاحب القاموس المحيط «والرمح يعسل عسلاً وعسولاً وعسلانا اشتد اهتزازه فهو عاسل وعسّال»[2].

ومن ذلك ما أومأ إليه من التجانس بين (الفيء) الظل و(الفيء) الخير، والغنائم فيما جاء فى قوله: «وفاء عليه الظل وتفيأ... ويقال فقعد فى الفيء... وأفاء الله عليهم الغنائم... وتقول ما لزم الفيء إلا حرم الفيء»[3].

ومعنى عبارة الجناس – على ما يبدو – أن من قعد فى بيته، وركن إلى الراحة والدعة، حرم الخير كله، أو على حد قول الحريرى: وما اشتار العسل، من اختار الكسل.

ومن ذلك ما ذكره بين (الهوجل) البطىء، و(الهوجل) المفازة فى قوله: «وتقول إن الهوجل لا يقطع الهوجل أى المفازة البعيدة»[4].

ومعنى (الهوجل) الأولى كما فى لسان العرب البطىء المتوانى الثقيل[5] ومعنى العبارة أن البطىء لا يقطع الصحراء الواسعة.

ومنه ما لوّح إليه من الجناس بين (الفدامة) البلادة، و(فدّامة) ما يوضع على الفم فى قوله: «هو فدْم» بين الفدامة، وهى البلادة والعىّ... وتقول فلان من فرط الفَدامة كأن على فيه فَدّامة، وهى ما يشدّه الساقى على فيه»[6].

وقد زاد صاحب لسان العرب معنى (فدّامة) بيانا عندما قال: «.... كان

---

(١) لسان العرب ٦/ ٢٩٤٦ (عسل).
(٢) القاموس المحيط باب اللام فصل العين.
(٣) أساس البلاغة (فيأ).
(٤) المصدر نفسه (هجل).
(٥) لسان العرب ٦/ ٤٦٢٣ (هجل).
(٦) أساس البلاغة (فدم).

سقاة الأعاجم إذا سقوا فدّموا أفواههم أى غطوها»[1] ومعنى عبارة الجناس كما هو ظاهر أن فلانا من فرط بلادته لا يتكلم، ولا يبين عما فى نفسه، كأن فمه مغلق مسدود.

ونلحظ أن حرف الدال فى إحدى الكلمتين مشدد، وفى الأخرى مخفف، وهذا لا يضير الجناس، ولا يقدح فيه؛ لأن «المشدد فى هذا الباب يقوم مقام المخفف نظراً إلى الصورة»[2] ويلاحظ أيضاً أن إحدى الكلمتين معرفة باللام، والأخرى غير معرفة، وذلك لا يعيب الجناس أيضاً؛ لأن لام التعريف فى حكم الانفصال لزيادتها[3] يؤازر ذلك ما ذكره (ابن الأثير) من شواهد الجناس أن الصحابة نازعوا جرير بن عبدالله البجلى زمام ناقة الرسول - ﷺ - فقال لهم «خلوا بين جرير والجرير أى دعوا زمامه[4]».

الجناس كما هو جلى بين (جرير) اسم الصحابى الجليل، و(الجرير) زمام الناقة.

ومنه ما أشار إليه من التجانس بين (شبابى) وقت الشباب و(العسل الشبابى) قبيلة من الطائف فى قوله: «وشب الصبى شبابا، وقوم شبان، وشباب، وشبية... وتقول كان عصر شبابى أحلى من العسل الشبابى منسوب إلى بنى شبابة من أهل الطائف»[5].

ومن هذا الضرب ما ذكره من الجناس بين (المعاقرة) إدمان الخمر و(المعاقرة) المشاتمة فى قوله: «ومازال يعاقرها حتى صرعته أى يدمن شربها، وقد عاقر

---

(١) لسان العرب ٥ / ٣٣٦٥ (فدم).
(٢) الإيضاح / ٨٠ (مع البغية) والمطول / ٤٤٧.
(٣) فن الجناس / ٦٢ على الجندى ط دار الفكر العربى.
(٤) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ١ / ٢٤١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.
(٥) أساس البلاغة (شبب).

الشَّرْبَ فما يفارقهم أى لازمهم، وبينهم معاقرة بمعنى المشاتمة والمنافرة... وتقول «إياك والمعاقرة، فإنها أم المعاقرة»[1].

ثانياً - جناس مماثل بين مثنى ومثنى:

يبدو أن مجيء الجناس بين مثنى، ومثنى نادر؛ لأننى لم أجد منه فى أساس البلاغة - على حسب جهدى - إلا مثالا واحداً، وهو ما ذكره بين (ديباجتيه) وهما خداه، و(ديباجتيه) وهما ثوباه فى قوله: «وفلان يصون ديباجتيه، ويبذل ديباجتيه وهما خداه»[2].

ومعنى (ديباجتيه) الأولى ثوباه، فقد جاء فى لسان العرب أن الديباج من الثياب[3] وعلى ذلك يكون معنى عبارة الجناس فلان يصون ثيابه، ويحافظ عليها، ولكنه لا يحافظ على كرامته، ويهين نفسه، ويريق ماء وجهه.

ثالثاً - جناس مماثل بين اسمين جمع وجمع:

ومن مظاهر الجناس المماثل أنه يأتى بين جمع، وجمع، وقد صدّر الخطيب القزوينى شواهده الشعرية لهذا اللون بقول الشاعر:

حدق الآجال آجال والهوى للمرء قتال

الأول جمع إجل بكسر الهمزة، وهو القطيع من بقر الوحش والثانى جمع أَجل، والمراد به منتهى الأعمار[4].

وقد ذكر الزمخشرى فى أساس البلاغة جناسات متنوعة من هذا القبيل منها ما تضمنه البيت المتقدم بين (الآجال) و(الآجال) فى قوله: «وتقول أجلن عيون الآجال فاصبن النفوس بالآجال»[5].

ومعنى العبارة كما هو واضح - أن هؤلاء النسوة عندما أجلن بأعينهن

---

(١) المصدر نفسه (عقر).
(٢) أساس البلاغة (دبج).
(٣) لسان العرب ٢/ ١٣١٦ (دبج).
(٤) الإيضاح/ ٧٧ (مع البغية).
(٥) أساس البلاغة (أجل).

الجميلة التى تشبه عيون البقر الوحشىّ، ونظرن بها إلى من يطمحون إليهن أصبن نفوسهم بالقتل.

ومنه ما أشار إليه من المجانسة بين (الأرانب) أطراف الأنوف، و(الأرانب) الحيوانات المعروفة فى قوله: «وتقول وجدتهم مجدعى الأرانب، أشد فزعا من الأرانب، وجدع فلان أرنبة فلان إذا أهانه، وهى طرف الأنف[1].

وقوله (مجدعى الأرانب) كناية عن إذلالهم، وإهانتهم كما ينبىء السياق ومنه كذلك، التجنيس بين (الأسفار) الانتقال من مكان إلى آخر، و(الأسفار) الكتب فى قوله: (وله سِفْرٌ من الكتاب، وأسفارٌ منه، وحطمنى طولُ ممارسة الأسفار، وكثرة مدارسة الأسفار»[2].

والسفر الكتاب الكبير أشار إلى ذلك الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ... ﴾ [الجمعة: ٥][3].

ومن هذا النمط ما ألوى إليه بين (الجبائر) التى توضع على العظم المكسور، و(الجبائر) التى تلبس فى المعصم فى قوله: «ومسح على الجبائر، ولبس الجبائر، وهى الأسورة... والواحدة فيهما جبارة، وجبيرة»[4].

والأسورة جمع سوار[5] والجبارة، والجبيرة عيدان تجبر بها العظام[6].

ومنه ما ذكره بين (الأردان) الأكمام، و(الأردان) الخزّفى قوله: «كن طيب الأردان، وإن لم تلبس الأردان جمع رَدَن، وهو الخز، وقيل الحرير»[7].

الأردان الأولى جمع رُدْن، وهو كُمّ الثوب، ونحوه، وطيب الأردان كناية عن نقاء العرض، وتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال، كما يقال فلان طاهر

---

(١) المصدر نفسه (رنب). (٢) نفسه (سفر). (٣) الكشاف ٤ / ٩٦.
(٤) أساس البلاغة. (جبر) (٥) المعجم الوجيز (سور).
(٦) القاموس المحيط باب الراء فصل الجيم. (٧) أساس البلاغة (ردن).

الثياب، والجيب، والذيل، صرح بذلك الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثرة: ٤][١] والأردان الأخرى جمع رَدَن كما جاء فى عبارته.

ومعنى عبارة الجناس كن طيب النفس، طاهرها، مبتعدا عما يدنسها، وإن كنت فقيراً.

ومن ذلك مالمع إليه من الجناس بين (زخارف) طرائق الماء، و(زخارف) زينات الأرض فى قوله: (وللماء زخارف طرائق وتقول للأرض من وَشْيِ الرياض زخارف، وللماء من جرى الرياح زخارف)[٢] والزخرف الزينة[٣].

ومن ذلك مالوح إليه الزمخشرى من المجانسة بين (أجفانهم) أى أجفان عيونهم، و(أجفانهم) أى أغماد سيوفهم فى قوله: «... وتحالفوا على القتال ففضوا أجفانهم، وغضوا أجفانهم أى كسروا غمودهم»[٤].

ومعنى العبارة – كما لا يخفى – وتحالفوا على القتال، فجردوا سيوفهم من أغمادها، وكسروا هذه الأغماد، حتى يواصلوا القتال وهو كره لهم، ومعنى غض الجفون احتمال المكروه، يعززه قول صاحب لسان العرب: «وغض الطرف احتمال المكروه»[٥] ويبدو أن استعمال الجفن فى غطاء العين، وغمد السيف حقيقة من قبيل المشترك اللفظى، فقد جاء فى لسان العرب «الجفن غطاء العين من أعلى وأسفل، والجمع أجفن وأجفان، وجفون، والجفن غمد السيف»[٦].

ومن هذا النوع بين جمع، وجمع ما أشار إليه من التجانس بين (فظاظ) أى فى أخلاقهم خشونة، و(فظاظ) مياه الكروش فيما جاء فى قوله: «وعطشوا حتى شربوا الفظ، وهو ماء الكرش وافتظوا الكرش أخذوا فظها... وتقول قوم غلاظ فظاظ، كان أخلاقهم فظاظ»[٧].

---

(١) الكشاف ٤/ ١٥٦.
(٢) أساس البلاغة (زخر).
(٣) لسان العرب ٣/ ١٨٢١ (زخرف).
(٤) أساس البلاغة (جفن).
(٥) لسان العرب ٥/ ٣٢٦٦ (غضض).
(٦) المصدر (نفسه) ١/ ٦٤٤ (جفن).
(٧) أساس البلاغة (فظظ).

وكانت العرب تعتصر ماء الكرش فتشرب منه عند عوز الماء فى الفلوات، وبماء الكرش شبه الرجل الفظ الغليظ لغلظه»[1].

وكلمة (فظ) كلمة قرآنية يألفها المسلم فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ....﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن ذلك ما أورده من التجنيس بين (الزنانير) الحصى، و(الزنانير) أحزمة النصارى، والمجوس فى قوله: «شد الزنار أو الزنارة على وسطه، وتزنر النصرانى، وتقول رمى الله تعالى بالزنانير أصحاب الزنانير»[2].

العبارة - كما هو ظاهر - دعاء على الكفرة من النصارى، والمجوس بما يضرهم ويسوءهم، (والزنانير) الأولى الحصى الصغار، أو الحصى مطلقا[3] والزنار، والزنارة ما على وسط المجوسى والنصرانى[4].

ومنه ما ألوى إليه من الجناس بين (فوارس) جمع فارس من الفروسية، و(الفوارس) الأسود التى تفرس الأعناق أى تدقها[5]. فى قوله: «وتقول فى بنى تميم فوارس كأنهم الليوث الفوارس»[6].

ويلاحظ أن أحد لفظى الجناس معرف باللام، وثانيها منكر، وقد أسلفت أنه لا عبرة فى الجناس بلام التعريف؛ لأنها زائدة.

ومن ذلك ما ألمح إليه من المجانسة بين (الكُلَى) جمع كلاة السفلة، و(الكلى) جمع كلية فيما جاء فى قوله: «واستكلأت كلاة... وتكلأت استلفت سلفا، وتقول إن الكلى تذيب شحم الكلى»[7] ومعنى العبارة أن السلف شديد الوقع والألم على نفس المقترض، لأن الدين هم بالليل، ومذلة بالنهار وهذا ينضى الجسم، ويذيب شحم كلاه.

---

(١) لسان العرب ٥/ ٣٤٣٧ (فظظ) بتصرف.
(٢) أساس البلاغة (زنر).
(٣) لسان العرب (٢/ ١٨٨٢ (زنر).
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٨٧١ (زنر).
(٥) نفسه ٥/ ٣٣٧٩ (فرس).
(٦) أساس البلاغة (فرس).
(٧) أساس البلاغة (كلأ).

رابعاً – جناس مماثل بين مفرد وجمع:

ومن مظاهر الجناس المماثل مجيئه بين مفرد، وجمع، وقد مَثّلَه سعد الدين التفتازانى بقول الحريرى:

وذا ذمامٍ وَفَتْ بالعهد ذِمَّتُهُ وَلاَ ذِمَامَ لَهُ فِي مَسْلَكِ الْعَرَبِ

الذمام الأول العهد، والحرمة، والثانى جمع ذمة، وهى البئر القليلة الماء، ومَثّلَه أيضاً بقوله: وفلان طويل النجاد، وطلاع النجاد، الأول مفرد، والثانى جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض(١).

وقد وجدت فى أساس البلاغة بعض نماذج جاءت على هذه الشاكلة، فقد أورد الزمخشرى جناسا بين (الراح) الخمر، و(الراح) أكف الأيدى فى قوله: «وشرب الراح، ودفعوه بالراح»(٢) واضح أن المعنى أن المتحدث عنه شرب الخمر، ودفعوه بأكفهم، وأيديهم.

الراح الأولى الخمر مفرد، و(الراح) الثانية جمع راحة، جاء فى لسان العرب والراح الخمر اسم لها، والراح جمع راحة، وهى الكف، والراح الارتياح... والراحة ضد التعب(٣) وجاء على هذه الوتيرة أيضاً ما أشار إليه من التجانس بين (العسّالة) مشتارو العسل، و(العسّالة) خلية النحل فى قوله: «... وبنو فلان يوفضون إلى العسالة كما يطرد النحل إلى العسالة، وهى الخلية»(٤) أى أنهم يسرعون إلى من يشتارون العسل لينالوا من خيرهم، كما يسرع النحل إلى الخلية.

خامساً – جناس مماثل بين فعلين:

وهذا الضرب كثير شائع، كما فى قول سعد الدين العربى:

---

(١) المطول ٤٤٥ – ٤٤٦ بتصرف قليل.
(٢) أساس البلاغة (روح).
(٣) لسان العرب (س/ ١٧٦٧ (روح).
(٤) أساس البلاغة (عسل).

جسمٌ نحيلٌ وقلب دائماً يجب وحق عينيك هذا بعض ما يجب

فالفعل (يجب) فى آخر الشطر الأول معناه يدق، وفى آخر البيت معناه يلزم من الوجوب.

وكما فى قول الشاعر:

جادَ منه كلُّ وصفٍ حِينَ بالأموال جادا

وأفاد اليُسْر للرَّا جِينَ مما قد أفادا

فإن (جاد) فى صدر البيت معناه حسن، وفى عجزه معناه تفضل، و(أفاد) فى أول البيت الثانى معناه وهب، ومعناه فى آخره كسب[1].

وقد وجدت منه فى أساس البلاغة جناسا بين الفعلين (تردى) بمعنى لبس، و(تردى) بمعنى سقط فى قوله: «وارتدى بالثوب، وتردى به... وتردى فى الهوة، وتردى من الجبل، وتقول إن فلانا تردى لما تردى أى للقضاء»[2].

أى لبس زى القضاء، يريد أنه هلك لما ولى القضاء، كما قيل من ولى القضاء، فقد ذبح بغير سكين، وذلك إذا كان جائرا قاسطا.

الجناس المزدوج والمكرر والمردد

إذا تجاور اللفظان المتجانسان، وجاء أحدهما عقب الآخر سمى الجناس مزدوجا، ومكررا، ومرددا، ولا يخفى وجه هذه الأسماء، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢] وقولهم من قرع بابا ولجَّ ولَجَ[3].

وقد ذكر الخطيب القزوينى هذا اللون عند تناوله لجناس القلب، والواقع أنه عام يأتى فى كل أضرب الجناس[4].

ويفهم من استشهاد الخطيب بآية (النمل) أنه لا يضر الفصل بين المتجانسين

---

(١) ينظر نظم الدر والعقيان / ١٩٧.
(٢) أساس البلاغة (ردى).
(٣) الإيضاح / ٨٤ (مع البغية).
(٤) بغية الإيضاح الموضع نفسه.

بحرف كباء الجر؛ لذلك صرح صاحب (الدّرّ والعقيان) أن المزدوج يكون متصلا، ويكون مفصولا بحرف؛ فالمتصل كما فى قوله تعالى ﴿ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[الهمزة: ١].

وقول أبى تمام:

يَمُدُّونَ من أيد عواصٍ عواصم تصول بأسياف قواضٍ قواضبَ

والمفصول بحرف كما فى قوله تعالى: ﴿ من سبَأ بنَبَأ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾[النساء: ١٢][1].

الجناس المزدوج فى أساس البلاغة:

كنت قد عقدت العزم فى بادىء الأمر على أن أذكر أمثلة الجناس المزدوج التى وجدتها فى أساس البلاغة على اختلاف ضروبها، وفنونها فى موضع واحد، يتبع بعضها بعضا، ولكننى بعد تأمل، وتفكير، رأيت أن أعقب، وأذيل كل فن من فنون الجناس بأمثلة المزدوج منه، حتى تكون الفائدة أتم، وأكمل وعلى الله قصد السبيل.

أولاً - جناس مماثل مزدوج متصل:

وقد وجدت من ذلك الضرب ما أشار إليه بين (البرد) ضد الحر، و(البرد) النوم فى قوله: «منع البرد البرد وهو النوم»[2] أى منعت شدة البرد النوم.

فقد تجاورت كلمتا الجناس، دون فاصل بينهما، وكلمة (بردا) كلمة قرآنية جاءت فى قول الله تعالى: ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴾ [النبأ: ٢٤].

وذكر الزمخشرى فى تفسيرها معنيين أحدهما أنها النوم فقال: وقيل البرد النوم وأنشد:

فلو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وعن بعض العرب منع البرد البرد»[3]

---

(١) نظم الدر والعقيان/ ٢٤٠ - ٢٤١ القسم الرابع فى محاسن الكلام.

(٢) أساس البلاغة (برد). (٣) الكشاف ٤/ ١٧٨.

ومن المماثل المزدوج ما أورده بين (الصفد) العطاء، و(صفد) وهو القيد، فيما جاء فى قوله: «وصَفَدَهُ وصَفِدَهُ أوثقه بالحديد، وصَفَدَهُ، وأصْفَدَهُ أعطاه، وتقول الصَّفد صَفَد أى العطاء قيد»[1].

واضح أن أحد المتجانسين ولى الآخر مباشرة دون فاصل. ومعنى عبارة الجناس: العطاء (قيد) المتفضل عليهم، وجالب لمحبتهم على حد قول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

ثانياً - جناس مماثل مزدوج مفصول بحرف:

ومنه ما أشار إليه الزمخشرى بين (الكانون) شهر شديد البرد، و(الكانون) المدفأة، ونحوها فى قوله: «وقعد على الكانون، وهو المصطلى، وأثقل من الكانون، وهو كانون الشتاء الذى هو أشده بردا... وتقول أحسن من الكانون فى الكانون»[2].

ومعنى عبارة الجناس هذا الشيء أحسن من المدفأة فى برد الشتاء، وفى لسان العرب الكانونان شهران فى قلب الشتاء رومية[3].

وغير خاف أن ذلك جناس مزدوج؛ لتجاور لفظيه الكانون، والكانون لا يفصل بينهما إلا الحرف (فى) وهما مفردان.

ومما هو بسبيل من ذلك أن كلمة (كانون) الشهر البارد جاءت فى قول القاضى الإمام أبى الفضل عياض فى صيفية باردة:

كان كانونَ أهدى من ملابسه لشهر تَموزَ أنواعا من الْحُلَلِ

ومنَ هذا الشكل، وهو بين جمع، وجمع ما ألمع إليه من التجانس بين (المخارف) البساتين، و(المخارف) الزبل، وذلك فى قوله: خرف الثمار، واخترفها اجتناها... وخرجوا إلى المخارف بالمخارف جمع مَخْرَف، ومِخْرَف إلى البساتين بالزُّبل»[4]

---

(١) أساس البلاغة (صفد).
(٢) أساس البلاغة (كنن).
(٣) لسان العرب ٥ / ٣٩٤٣ (كنن).
(٤) أساس البلاغة (خرف).

والزُّبُل جمع زَبِيل وزِنبْيل القُفّة[1] فالجناس مماثل مزدوج بين (المخارف) و(المخارف) فصل بين ركنيه بالباء.

ومنه ما ذكره بين (المكاحل) جمع مكحلة ما يوضع فيه الكحل، و(المكاحل) الكفين فى قوله: « والكحل فى المكحلة والأكحال فى المكاحل... وتقول يمتاح من مكاحله بمكاحله »[2] وقد زاد صاحب لسان العرب (مكاحله) الأخيرة تبيانا عندما قال: « والمكحالان عظمان شاخصان مما يلى باطن الذراعين من مركبهما »[3].

الضرب الثانى من الجناس التام هو المستوفى:

وهو ما كان اللفظان المتفقان فيه من نوعين كاسم وفعل[4] كما فى قول الشاعر:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل[5]

وقد ظفرت بمثال واحد جاء على هذه الشاكلة بين فعل، واسم، وهو ما أشار إليه الزمخشرى بين (يئوس) فعل مضارع، و(يئوس) اسم صيغة مبالغة فى قوله: « وتقول الله يخلف ويئوس، والعبد كنود يئوس »[6].

جونس بين (يئوس) الأولى، مضارع من آس إذا عوض غيره[7] و(يئوس) صيغة مبالغة من اليأس، ومعنى عبارة الجناس أن الله يخلف على الناس، ويعوضهم، أما العبد فهو كنود كفور، بخيل، مقتر، يئوس، قنوط.

الضرب الثالث من التام جناس التركيب:

ومن نماذجه أن يكون أحد ركنيه مركبا من كلمة، وبعض كلمة، كما فى قول الحريرى:

---

(١) المعجم الوجيز (زبل)
(٢) أساس البلاغة (كحل).
(٣) لسان العرب ٥ / ٣٨٣٢ (كحل).
(٤) المطول ٤٤٦.
(٥) الإيضاح / ٧٨ (مع البغية).
(٦) أساس البلاغة (يئس).
(٧) ينظر لسان العرب ١ / ٨٣ (أسا).

ولا تَلْهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْكه بدمع يحاكى الْوَبْلَ حَالَ مَصَابِه
ومثّل لعينيك الحِمام ووقعه وروعةَ مَلْقَاه ومَطْعَمَ صَابِه

الركن الثانى مركب من (صابه) والميم الأخيرة من (مطعم) ويسمى هذا الأنموذج مَرْفُوًّا[1].

أو يكون كل من ركنيه مركبا من كلمتين أو أكثر، ويسمى ملفوقا[2] أو ملفقا[3] مثل قول الشاعر:

من لى بشمل المُنَى والأُنس أَجْمعُه بشادنٍ حلَّ فيه الأنسُ أجمعُه
مازال يَعْرضُ عن وَصْلى وأخْدَعُه فالآن قد لانَ بَعْدَ الصَّدِّ أخدعُه

(أجمعه) الأول فعل مضارع اتصل به ضمير المفعول، والثانى مضاف ومضاف إليه، وهكذا (أخدعه) والأخدع أحد الأخدعين، وهما عرقان فى العنق[4].

وقد عثرت على مثال واحد فى أساس البلاغة، كل من ركنيه مركب من كلمتين (شرط) و(شارط) وذلك فى قوله: «وشرطه الحجام بمشرطه، وتقول رب شرط شارط أوجع من شرط شارط»[5] فإن (شرط شارط) فى صدر العبارة تنبىء عن الشروط بين الناس فى شتى مناحى حياتهم، فى السلم، والحرب، وفى عجز العبارة تدل على مشرط الحجام والطبيب، وكل منهما مركب من كلمتين، فهو مركب ملفوق، ومعنى العبارة رب شرط قاس مؤلم أشد على النفس من الجراح الدامية.

- **مرتبة الجناس التام:**

الجناس التام هو أرقى ضروب الجناس منزلة، وأرفعها شأوا، وأعلاها كعباً،

---

(١) المطول/ ٤٤٦.
(٢) ينظر نظم الدر والعقيان/ ١٩٩.
(٣) ينظر جنى الجناس، للسيوطى/ ١٢١.
(٤) نظم الدر والعقيان / ٢٠٠.
(٥) أساس البلاغة (شرط).

وأبعدها مدى، وقد امتدحه أرباب البيان، وأشادوا بفضله الذى لا يضاهى، ولا يبارى، فقد قال الشيخ عبد القاهر، وهو بصدد بيان قيمته « .... ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة، وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة، ووفاها، فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق فى الصورة من حلى الشعر، ومذكوراً فى أقسام البديع »[1].

ويقول أيضاً مبيناً فضله الذى لا يدفع، ولا ينكر: « واعلم أن النكتة التى ذكرتها فى التجنيس وجعلتها العلة فى استيجابة الفضيلة، وهى حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذى لا يمكن دفعه إلا فى المستوفى المتفق فى الصورة منه كقوله:

مامات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

أو المرفو الجارى هذا المجرى كقوله (أو دعانى أمت بما أودعانى) فقد تتصور فى غير ذلك من أقسامه »[2].

ويقول الصفدى: « وهو أعلى أنواع الجناس مرتبة »[3] وكذلك قال السيوطى أيضاً[4].

* * *

(١) أسرار البلاغة/ ٧ – ٨.
(٢) نفسه/ ١٧.
(٣) جنان الجناس/ ٤٥.
(٤) جنى الجناس/ ٧٣.